بحث عام | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 24 أبريل 2017

النظرية الانقسامية:
الأصول والمفاهيم

يونس الغاب
باحث مغربي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017
All rights reserved © 2017

الملخص التنفيذي

يعالج هذا البحث واحدة من النظريات الأنثروبولوجية التي شكّلت في مرحلة معينة المفتاح الرئيس لفهم مجتمعات ما قبل الرأسمالية، من خلال نحتها لمجموعة من المفاهيم التي تشكلت نتيجة السجال الذي وسم الوضع الفكري بأوروبا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، خاصة مع عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم، الذي ساهم في إخراج المفاهيم المميزة للمجتمعات البسيطة أو الانقسامية مستنبطاً إيّاها من الأبحاث الإثنوغرافية المنجزة حول الجزائر وأمريكا خلال القرن التاسع عشر. غير أنّ الدراسات التي قام بها أو التي أشرف عليها الباحث البريطاني إيفانس بريتشارد خاصة حول قبائل النوير السودانية، تُعدّ الأساس الذي قامت عليه النظرية الانقسامية بعد ذلك، نظراً للإضافات التي قدّمها في ما يخصّ مفاهيم الانصهار والانشطار والتحكيم.

تقديم

انطلقت النظرية الانقسامية من إشكالية مركزية عبّر عنها إرنست غيلنر Ernest Gellner بشكل واضح من خلال هذا التساؤل: «لماذا كان الحلّ القبلي منتشراً على الشواطئ الجنوبية الشرقية من المتوسط، بينما كان البديل الإقطاعي الذي يفصل المقاتلين/الحكام عن الفلاحين منتشراً في الشمال؟» في نظره يتعلق الأمر باختلاف في الأنشطة؛ بين مجتمع هرمي اختار الزراعة، ومجتمع متحرك يقوم على الرعي ويتميز بالمساواة.

وباعتبار هذه النظرية ما تزال تقدّم أجوبة، وتثير تساؤلات كثيرة حول طبيعة المجتمع المغربي، والأنساق المتحكمة فيه، يتطلب الأمر ضرورة كشف هذا الرصيد النظري والتطبيقي من طرف الباحثين في العلوم الإنسانية، إلا أنّ أسبقية القيام بنقد هذه النظرية، يفترض بالأساس التجرّد من مجموع المقولات التي تبناها كلٌّ من الطرح الوطني (المؤامرة)، والطرح الكولونيالي، وما بعد الكولونيالي (النظرة الأورمركزية). ثم أخذ المسافة الكافية من أجل تلافي السقوط في تبني قوالب جاهزة ومغلقة. أساساً، عبر الوعي بالاختلاف المنهجي، والفارق الزمني بين كلٍّ من المدرسة الكولونيالية والانقسامية، رغم إعطاء هذه الأخيرة أهمية كبرى للإرث الكولونيالي، عبر توظيفه في مجموعة من الدراسات الانقسامية. وأخيراً عبر العودة إلى أصولها ومفاهيمها المهيكلة للخطاب الذي أنتجته مجموعة من الباحثين في مناطق مختلفة من العالم، بالاعتماد على هذه المقاربة التي اختلفت تسميتها بين الانقسامية والتجزيئية والانشطارية.

يعالج هذا المقال إشكالية الأصول والمفاهيم المؤطرة للنظرية الانقسامية، باعتبارها خطوة أساسية لكل بحث أو دراسة تعالج أيّة مقاربة أنثروبولوجية، من أجل استحضار أهمّ المحطات التي ساهمت في إخراج النموذج من طور التنظير مع إميل دوركايم Émile Durkheim، إلى طور التطبيق خاصة مع الباحث البريطاني إيفانس بريتشارد Evans-Pritchard، ومن بعده مع إرنست غلنر، ودافيد هارت David Hart، وجون واتربوري John Waterbury ...، فكيف كان التقاء الإرث الدوركايمي بالأنثروبولوجيا الإنغلوساكسونية؟ وما انعكاسات ذلك على أبحاث إيفانس بريتشارد؟

1. أصول النظرية الانقسامية

أ- القرن التاسع عشر والسياق الفكري لظهور النظرية الانقسامية:

كان للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها أوروبا نتيجة الثورة الصناعية خلال القرن التاسع عشر، وقع كبير على الإنتاجات الفكرية التي جسّدتها أعمال كلّ من كارل ماركس Karl

Marx، وماكس فيبرMax Weber، وإميل دوركايم. أعمال وحدتها فكرة كون المجتمع الغربي الحديث هو مجتمع مختلف جذرياً عن كلّ ما جاء قبله. فبالنسبة إلى فريق ماركس الذي ضمّ كذلك فردريك إنجلز Friedrich Engels، كان هذا الاختلاف نذيراً بقدوم فترة تاريخية ثورية، يقوم فيها نوع جديد من البنية الاجتماعية[1]، أمّا بالنسبة إلى ماكس فيبر وإميل دوركايم فقد كان المجتمع الحديث شيئاً فريداً، لأنّه ورغم ولادته من التاريخ الأوروبي إلا أنّه تطلب طريقة مختلفة جذرياً للتفكير والعمل والتنظيم كمجتمع.[2]

ويعود هذا النشاط الفكري في هذه المرحلة بالضبط إلى كون هؤلاء المنظرين شاهدوا المجتمع الأوروبي، والنقلة الحادة من الطرق «التقليدية» في الحياة إلى الطرق «الحديثة»، ووثقوا الانهيار في الروابط والمؤسسات التي حكمت تلك المجتمعات «التقليدية»[3]. الأمر الذي فسح المجال أمام بروز قضايا ومفاهيم جديدة أثّرت بشكل كبير في بناء مجموعة من النظريات تمحورت حول مفهومين مركزيين: الدولة والمجتمع. وهي المفاهيم التي اشتغلت عليها الأنثروبولوجيا لاحقاً وأطّرت أبرز أعمالها.

لقد جاءت تحليلات كلٍّ من كارل ماركس وماكس فيبر وإميل دوركايم لتركز بصورة أساسية على التغيرات المصاحبة للثورة الصناعية، ومن أهمّ هذه التغيرات دراسة الآثار الناتجة عن تحول الطبقات العاملة الزراعية، وتركها للعمل في القطاع الزراعي، ثم توجهها للعمل في المؤسسات والشركات الصناعية الجديدة[4]. بالإضافة إلى الثورة العلمية التي أدت إلى نشأة علم الاجتماع قبل ذلك مع الوضعية الكلاسيكية في تحليلات أوغست كونت Auguste Comte، أو تصورات هربرت سبنسر Herbert Spencer العضوية[5].

إلا أنّ ما يهمنا في هذا الجانب - الغني بالدراسات التي يمكن العودة إليها بالرجوع إلى عدد من الأعمال والدراسات-[6] هو دراسة إميل دوركايم، التي هي في الأصل أطروحة للدكتوراه نوقشت سنة 1893 وتمحورت حول تقسيم العمل في المجتمع الذي أدّى في نظره إلى الانتقال من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي. ويمكن تلخيص أبرز نقاطها التي تصبّ في موضوع الانقسامية في العرض التالي.

1- روبيرتس (تيمونز) - هايتي (أيمي)، «**من الحداثة إلى العولمة: رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغير الاجتماعي**»، الجزء الأول، ترجمة سمير الشكيكلي، منشورات عالم المعرفة، الطبعة الأولى، الكويت، 2004، ص: 12.

2- المرجع السابق، ص: 13.

3- نفسه، ص: 13.

4- عبد الله (محمد عبد الرحمن)، «**النظرية في علم الاجتماع: النظرية الكلاسيكية**»، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2006، ص: 22.

5- المرجع السابق، ص: 23.

6- بالنسبة إلى كارل ماركس وفردريك إنجلز: "**العمل المغرب (1844)**»، «**بيان الحزب الشيوعي (1848)**»، «**أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة**». وفي ما يخصّ ماكس فيبر: «**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية (1905)**»، «**رسالة العلم (1919)**»، «**سمات البيروقراطية (1920)**»

يحدّد إميل دوركايم منذ البداية الهدف من دراسته هذه بالقول: «أمّا المسألة التي كانت الباعث لهذه الدراسة فهي العلاقات بين الشخصية الفردية والتعاون الاجتماعي. فكيف حدث أن أصبح الفرد أشدّ خضوعاً للمجتمع، في حين يكون أكثر استقلالاً؟ وكيف يصبح في آن واحد أكثر فردية وأشدّ تبعية؟[7]».

يقترح إميل دوركايم لفهم هذه المفارقة مفهومين سيكون لهما تأثير كبير في الأنثروبولوجيا الوظيفية، هما مفهوما: التعاون الآلي، أو التعاون عن طريق التشابه، ثم التعاون العضوي. بالإضافة إلى المفهوم المحدّد لهما، وهو تقسيم العمل، الذي لا يتردد دوركايم في نسبته إلى آدم سميث Adam Smith الذي ابتكر هذه الكلمة، التي أعارها العلم الاجتماعي في ما بعد إلى علم الحياة (البيولوجيا)[8].

غير أنّ ما يجب التركيز عليه في هذا الصدد، هو المجتمعات ذات التعاون الآلي التي وصفها دوركايم بالانقسامية[9]، أو المجتمعات الأدنى المشابهة للهورد «LE HORD». فما هي خصائص هذه المجتمعات؟

يقول دوركايم: «نقول عن هذه المجتمعات إنّها عديدة الأجزاء (انقسامية) لكي نشير إلى أنّها تتألف من كتل متشابهة في ما بينها كحلقات الدود، ونقول عن هذه المجموعة عشيرة (Clan) لأنّ هذه الكلمة تعبّر تعبيراً جيداً عن طبيعتها المختلفة العائلية والسياسية معاً. إنّها عائلة، بمعنى أنّ كلّ الأفراد الذين يؤلفونها يعتبرون أنفسهم أقرباء لبعضهم بعضاً، وهم في الحقيقة في أكثريتهم أقرباء بالدم، وهذه الوشائج التي تنشئها وحدة الدم هي الأساس الذي يجمع بينهم»[10]، ويستشهد دوركايم في وصف هذه المجتمعات بما كتب حول القبيلة في كلّ من أمريكا مع لويس هنري مورغان L.H.MORGAN، أو ما كتب حول الجزائر بالعودة إلى كتابات هانوتو ولوتورنو Hanoteau (A) et Letouneux (A) حول منطقة القبائل بالجزائر، بالإضافة إلى دراسة إميل ماسكيراي E.Masqueray حول الأوراس والمزاب والقبائل بالجزائر كذلك.

ولتوضيح الصورة بشكل كبير، يرى دوركايم «أنّ القبيلة بإفريقيا الشمالية هي العشيرة المستوطنة في شكل القرية (الجماعة أو Thadart)، وتؤلف بضعة من هذه الجماعات، عشيرة (Tribu, arch)، كما تؤلف جملة من القبائل اتحاداً هو: K (Thak'ebilt) وهذا الاتحاد هو أرقى جماعة سياسية تعرفها هذه القبائل»[11].

7- دوركايم (إميل)، **"في تقسيم العمل الاجتماعي"**، ترجمة: حافظ الجمالي، مجموعة الروائع الإنسانية، الأونيسكو (السلسلة العربية)، الطبعة الثانية، 1986، ص: 49.

8- المرجع السابق، ص: 50.

9- يستعمل المترجم كلمة مقطعية في مقابل Segmentarité في كامل فصول الكتاب، للدلالة على مفهوم الانقسامية.

10- دوركايم (إميل)، **"في تقسيم العمل الاجتماعي"**، م. س، ص: 202-203.

11- المرجع السابق، ص: 206.

بالإضافة إلى الخصائص السابقة التي تسم المجتمعات الانقسامية كما حدّدها إميل دوركايم يمكن أن نضيف سمات أخرى موجزة في النقاط الآتية:

- يشكّل الدين بالنسبة إلى المجتمعات الانقسامية كلّ شيء، وهو يشمل في خليط غامض كلّ الأخلاق والحقوق، ومبادئ التنظيم السياسي، وحتى العلم أو ما يقوم مقامه على الأقل[12].

- كلما كانت المجتمعات أقرب إلى البداوة كان التشابه بين الأفراد أعظم، وكان الوعي الجمعي أشدّ تأثيراً.

- النموذج الانقسامي ينمحي كلما تقدّمنا في التطور الاجتماعي، إذ يقتضي مزيداً من التخصص، وتحرير الوجدان الفردي، فتنفلت بذلك الطبائع الفردية من تأثير الجماعة وتأثير الوراثة[13].

يتبين من خلال هذا العرض الوجيز لأهمّ خصائص المجتمعات الانقسامية كما وضعها إميل دوركايم، تأثره بالتغيرات التي شهدها القرن التاسع عشر، القرن الذي لاحظ فيه قوة النقلة التي عرفها المجتمع الأوروبي بسبب التصنيع، والتي حوّلت المجتمع من البساطة والاتساق إلى التخصّص والاختلاف[14]. الأمر الذي جعله يقترح نموذجاً نظرياً وجهازاً مفاهيمياً لفهم الظاهرة الاجتماعية، باعتبارها ليست معبّرة عن طبيعة فردية فقط، بل عن وعي جمعي وضرب من السلوك[15]، متأثراً في ذلك بكلٍّ من أوغست كونت في ما يخصّ الطبيعة البشرية، وهربرت سبنسر من حيث المماثلة بين المجتمع والحياة العضوية[16]. وهو ما لاحظناه من خلال قراءتنا لدراسته حول تقسيم العمل، إذ غالباً ما يشبّه المجتمعات الانقسامية بحلقات الدود أو كائنات المستعمرات إذ يقول: «... في العلم الحيواني تنشأ فردانية، وهي شبيهة بفردانية المجتمعات التي سميناها (انقسامية). ولا يقتصر الأمر على أنّ مخطط البنية واحد، بل التعاون هو من النوع نفسه. والحق أنّ الأجزاء التي تؤلف مستعمرة حيوانية ما، تكون ملتحمة في ما بينها بصورة آلية...، كما أنّ النموذج الانقسامي يزول كلما تقدمنا في التطور الاجتماعي، وكذلك فإنّ النموذج الاستعماري عند بعض الحشرات يتبدد كلما ارتقينا في السلم الحيواني[17]».

غير أنّ هذا التمييز الذي وضعه إميل دوركايم، والذي أفضى به إلى تبيان صفات المجتمعات الانقسامية، تعرض لانتقادات كبيرة، خاصة من قبل باحثين اشتغلوا حول موضوع النظرية الانقسامية بشمال إفريقيا،

12- نفسه، ص: 157.

13- المرجع السابق، ص: 453.

14- روبيرتس (تيمونز) وهايتي (أيمي)، **"من الحداثة إلى العولمة: رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغير الاجتماعي"**، م. س، ص: 61

15- القصير (أحمد)، **"منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنيوية"**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 2012، ص: 34.

16- المرجع السابق، ص: 36.

17- دوركايم (إميل)، **"في تقسيم العمل الاجتماعي"**، م. س، ص-ص: 220-221.

وأبرزها نقد روبرت هيغ Roberts Hugh[18] الذي تمحور حول التأويل الخاطئ الذي سقط فيه دوركايم عند قراءته للمصادر الإثنوغرافية التي اعتمدها، خاصة المتعلقة بكلٍّ من لوتورنو وماسكراي[19]، والتي أدّت به إلى وضع العشيرة Clan، محل القرية Village من أجل تبرير وجود تضامن ميكانيكي (آلي) عند سكان القبايل بالجزائر[20].

بعد أن بيّنا السياق الفكري الذي أدّى في نهاية القرن التاسع عاشر إلى نحت مفاهيم إميل دوركايم حول قضية التطور والتغيير الاجتماعي التي يُعدّ محورها تقسيم العمل، تجدر الإشارة إلى مفاهيم أخرى كان لها تأثير كبير على العلوم الاجتماعية، منها المتعلقة بالمادية التاريخية كالصراع الطبقي ونمط الإنتاج الآسيوي بالنسبة إلى كارل ماركس وفريدريك إنجلز، ثمّ المفاهيم التي عكستها أعمال ماكس فيبر حول البيروقراطية والدولة والشرعية.

إنّ هذه المفاهيم والأعمال أثّرت بشكل كبير في خيارات الأنثروبولوجية من الوظيفية إلى البنيوية، وصولاً إلى التأويلية مع كليفورد غيرتز Clifford Geertz. غير أنّ الأساس من هذا التأطير لأطروحة دوركايم، هو بيان التأثير الذي مارسته لاحقاً على الأنثروبولوجيا الإنغلوساكسونية خاصة النظرية الانقسامية. فكيف كان لقاء الأنثروبولوجيا مع مفاهيم إميل دوركايم خاصة المتعلقة بالمجتمعات ذات السمات الانقسامية؟

ب- الأنثروبولوجيا الوظيفية[21] وبدايات النظرية الانقسامية:

لقد أوحى إميل دوركايم، في نظر الباحثة التونسية ليليا بنسالم، لمحللي المجتمعات المغاربية باتجاه جديد في البحث الأنثروبولوجي، حيث أشار إلى المجتمع القبائلي كنموذج للمجتمع الانقسامي العشائري، وذلك مباشرة بعد أن أصدر هانوتو ولوتورنو كتاب: القبايل والأعراف القبايلية (1872)، وبعد أن أصدر ماسكري دراسته نشأة الحواضر لدى السكان المستقرين بالجزائر (1886)[22]. لكن ورغم هذه الإشارات، لم يتمّ التطرق لمفاهيم إميل دوركايم إلا عند اكتشافها من قبل الأنثروبولوجيا الإنغلوساكسونية. فكان بذلك

18- Hugh Roberts, **Perspectives sur les systèmes politiques berbères: à propos de Gellner et de Masqueray, ou l'erreur de Durkheim**, trad. ; Abderrezak Dourari, Insaniyat n°27, janvier – mars 2005, pp. 29-54

19- Ibid. P: 44.

20- Ibid. P: 50.

21- تبلور الاتجاه الوظيفي في مجال الأنثروبولوجيا على يد كل من العالمين البريطانيين برونسلو مالينوفسكي (1884-1942) ورادكليف براون (1881-1955)، من خلال تبنّي أفكار الفرنسي إميل دوركايم، ونقد المنهج التاريخي عند التطوريين والانتشاريين. باعتبار الأنثروبولوجيا لا تهتمّ بتاريخ الظاهرة التي تبحثها بقدر ما تركز على الكشف عن العلاقات القائمة بين عناصر تلك الظاهرة ككل، وعلاقتها بغيرها من الظواهر الأخرى، إذ يؤدي هذا في النهاية إلى الوصول إلى القوانين التي تحكم الظاهرة من ناحية تكوينها وأدائها لوظيفتها. انظر: «فهيم (حسين)، «**قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان**»، سلسلة عالم المعرفة، العدد 89، 1986 ص: 128.»

22- بنسالم (ليليا)، "**التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقويم**»، في: الأنثروبولوجيا والتاريخ (حالة المغرب العربي)، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1988، ص: 12.

رادكليف براون Radclife-Brown أول من تطرق لمفهوم «البنية» الدوركايمي أثناء قيامه بتأسيس نظرية القرابة (هذه النظرية التي انتقدها كلود ليفي ستروس فيما بعد وعارضها بنظرية المصاهرة)[23]، كما أنّ إيفانس برتشارد ناشر أعمال دوركايم بالإنجليزية ومساعد راد كليف براون هو أول من عاين، من خلال أبحاثه الميدانية، أمثلة من المجتمعات الانقسامية، والتي استطاع من خلالها أن يمدّ الأنثروبولوجيا بمنظومة نظرية متكاملة، وضع دوركايم فيما قبل خطوطها العريضة[24].

كان إذن تأثير دوركايم على الأنثروبولوجيا الوظيفية جليّاً، إلا أنّ هذا التأثير لن تتضح صورته إلا من خلال إبراز سياق تطور هذا الفرع من الأنثروبولوجيا ببريطانيا، وأهمّ الإضافات التي قامت بها في مجال النظرية الانقسامية، علماً أنّ النظرية الوظيفية كما يرى الباحث أحمد القصير ترتبط بشكل دقيق بأعمال دوركايم التي طرحت التفسير الوظيفي[25]. باعتبارها تركت تقاطعات كبيرة بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، من جهة، وعلم الاجتماع من جهة أخرى[26].

ومن أجل فهم هذه العلاقة بين علم الاجتماع الفرنسي والأنثروبولوجيا الإنغلوساكسونية، لا بدّ من العودة إلى كلٍّ من برونيسلاف مالينوفسكي Bronisław Malinowski، وألفرد رادكليف براون، أبرز رواد الاتجاه الوظيفي. «الرجلان اللذان يعتبران مؤسسي التراث البريطاني في الأنثروبولوجيا الاجتماعية[27]، التي كانت تستمدّ من نظريات دوركايم، الذي إلى جانب ارتباط النشأة الأكاديمية لعلم الاجتماع بإسهاماته النظرية فإنّ كتاباته النظرية ما تزال هي الموجّه الفكري والنظري للوظيفية[28].

كان ارتباط ظهور الأنثروبولوجيا بشكل عام والوظيفية بشكل خاص بسياق فكري اشتدت فيه أزمة الحضارة الأوروبية، فإلى جانب دوركايم كان هناك أولئك الذين أطلق عليهم بول ريكور Paul Ricœur سادة الشك: كارل ماركس ونيتشه وفرويد. حيث أدّى الشعور المتزايد بهذه الأزمة إلى ارتفاع حمّى علم الأنثروبولوجيا، التي أخذت في التعريف بنفسها، والبحث عن مكان لها في مؤسسات التعليم والبحث. ولكنّ أحد أسباب ذلك الازدهار، بين عامي 1880 و1960، كان حتماً هو التوسع الاستعماري[29]. بالإضافة إلى أنّ هذا العلم كان في البداية عبارة عن بحث مقارن ومتعاكس مرتبط بتساؤل ذي طابع فلسفي حول مصير وقيمة

23- المرجع السابق، ص: 13.

24- المرجع السابق، ص: 13.

25- القصير (أحمد)، "**منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنيوية**»، مرجع سابق، ص: 122.

26- يتيم عبد الرحمن (عبد الله)، "**إميل دوركايم: ملمح من حياته وفكره الأنتروبولوجي**»، مجلة إضافات، العدد 20، شتاء 2013، ص: 28.

27- الجوهري (محمد) ومجموعة من الباحثين، "**الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج**»، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2003، ص: 15.

28- عبد الله (محمد عبد الرحمن) "**النظرية في علم الاجتماع: النظرية الكلاسيكية**»، م.س، ص: 30.

29- فيليب (لابورت) وآخرون، "**إثنولوجيا أنتروبولوجيا**»، ترجمة مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2004 بيروت- لبنان، ص 29.

الحضارات[30]. وكان من نتائج ذلك أن عرفت الأنثروبولوجيا، منذ نشأتها، جدلاً حول طبيعة المجتمعات التي تدرسها، حيث سُميّت تلك المجتمعات بأسماء مختلفة؛ ما قبل الصناعية، أو البدائية، أو الشفوية، أو مجتمعات ما قبل الدولة...، وكلّها تسميات لا تخلو من أغراض إيديولوجية، لاسيما أنّ الأنثروبولوجيا حقل دراسي من صناعة الغرب، ومؤسساته العلمية، ما يعني أنّ هذه المجتمعات كانت موضوعاً بحثياً خارجياً[31]. ومن أبرز هذه الدراسات القريبة إلى موضوعنا حول الوظيفية يمكن أن ندرج:

- Malinowski, B., Argountes of the western Pasifique, New York, E.P. Dutton, 1922.

هذا الكتاب هو عبارة عن دراسة لشبكة من الهبات والهبات المضادة، المعروفة باسم "كولا"، بين سكان أرخبيل تروبريان الميلانيزي. وتمثل هذه الدراسة الأحادية نموذجاً للعمل الإثنوغرافي الطويل النفس، والناتج عن الملاحظة من خلال المشاركة. وتتجلى أهمية هذا الباحث بالنسبة إلى رواد الانقسامية في الاحتفال المئوي الذي أقيم له سنة 1984، والذي يقول إرنست غيلنر إنّه أتاح له الفرصة ولمجموعة من الباحثين لنشر عدة بحوث أعادت توجيه مسار الأنثروبولوجيا[32].

- A.R. Radclife-Brown, structure and function in primitive society, 1952.

يعتبر رادكليف براون أحد أبرز أعلام الأنثروبولوجيا الوظيفية، حيث توزعت مهمته، حسب ما أورده جيرارد ليكلرك في كتابه «الأنثروبولوجيا والاستعمار»، في ثلاثة اتجاهات رئيسة: انتزاع الأنثروبولوجيا من التاريخ وعلم الاجتماع عبر اعتبار التاريخ مجرّد خادم للعلم الجديد، ووضع منهجية خاصة بالأنثروبولوجيا أساسها البحث الميداني، ثم أخيراً استقلالية غرض الأنثروبولوجيا[33]. غير أنّه يبدو أكثر تأثراً في أبحاثه بآراء إميل دوركايم خاصة، من حيث المماثلة بين الحياة العضوية والمجتمع.

- Evans-Pritchard E.E., The Nuer; a description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People, Oxford, Clarendon, 1940

30- المرجع السابق، ص: 30.

31- الوكيلي (يونس) "**في منهج دراسة المعتقدات السحرية من منظور إميل دوركايم**»، ضمن ملف بحثي حول الدين والمجتمع ونظرية المعرفة: قراءات معاصرة في أعمال إميل دوركهايم، تنسيق يونس الوكيلي، منشورات مؤمنون بلا حدود، 2015 ص87.

32- فهيم (حسين) "**قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان**»، م. س، ص 27.

33- لكلرك (جيرار) "**الأثروبولوجيا والاستعمار**»، ترجمة جورج كنتورة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان، 1990، ص-ص: 67-71.

- Evans-Pritchard E.E., the Sansui of Cyrenaica, The Clarendon press, Oxford, 1949.

يقوم إيفانس بريتشارد في هذه الدراسات بتحليل الاقتصاد الرعوي وبيئته المكانية والزمانية عند قبائل النوير التي تعيش في السودان على رعي البقر، بالإضافة إلى دراسته للطريقة السنوسية في علاقتها مع بدو برقة، من خلال التركيز على البنى السياسية والأنساب وفئات السن، والوظائف التي تقوم بها. حيث اهتدى إلى حالة من التنظيم الانقسامي[34]، التي نظر لها إميل دوركايم[35]، الذي تُعدّ أبحاثه حسب إيفانس بريتشارد حلقة أساسية في تطوّر علم الأناسة بسبب نظرياته الاجتماعية[36].

وتعتبر في هذا السياق مساهمة إيفانس بريتشارد حول قبائل النوير بالسودان البداية الفعلية للنظرية الانقسامية التي تبنّاها مجموعة من الباحثين لدراسة المجتمعات في شمال إفريقيا وآسيا، غير أنّ هذه الدراسة، كما يرى جيرار لكلرك Gérard Leclerc، لا تخرج عن إطار الدراسات المؤسساتية التي كانت لا تختلف مع الإدارة غير المباشرة للمستعمرات البريطانية بإفريقيا، باعتبارها ضرورية وممكنة من جانب الاستعمار الليبرالي المتنوّر[37].

إلا أنّ جديّة هذه الدراسات التي قام بها إيفانس بريتشارد تتجلّى في دعوة صاحبها إلى عدم إغفال الجانب التاريخي للمجتمعات المدروسة في المقاربة الوظيفية، عندما بين أنّ صلة الإناسة الاجتماعية بالتاريخ أقوى من صلتها بالعلوم الطبيعية، باعتبارها تبحث في المجتمعات بكونها نظماً رمزية وليست بوصفها نظماً طبيعية، وبالتالي تقدّم تأويلاً وليس تفسيراً علمياً[38]. فكيف ساهم إذن إيفانس بريتشارد في نحت مفهوم الانقسامية؟

34- فيليب (لابورت) وآخرون، "**إثنولوجيا أنتروبولوجيا**"، م. س، ص: 31.

35- بالإضافة إلى هذه الدراسات، ظهرت مجموعة من الأبحاث الأخرى، التي أسست فعلياً للنظرية الانقسامية خاصة بإفريقيا أبرزها:

- Meyer Fortes and E. E. Evans-Pritchard, **African Political Systems**, Oxford University Press, 1940.

- M.G Smith, **Segmentary Lineage Systems**, The Journal of the Royal Anthropological Institute, 86, part 2, 1956.

- J. Middleton et D. Tait, **Tribes Without Rules, Studies in African Segmentary Systems**, Routlege et Kegan Paul, London, 1958.

- Marshall D. Sahlins, **the segmentary Lineage: An organization of Predatory Expansion**, American Anthropologist, 63, 1961.

36- إيفانس (بريتشارد) "**الإناسة المجتمعية: ديانة البدائيين في نظريات الإناسيين**"، ترجمة حسن قبيسي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، لبنان - بيروت، 1986، ص: 64.

37- لكلرك (جيرار) "**الأنثروبولوجيا والاستعمار**"، مرجع سابق، ص: 136.

38- فولف (كريستوف) "**علم الإناسة: التاريخ والثقافة والفلسفة**"، ترجمة أبو يعرب مرزوق، الدار المتوسطية للنشر، الطبعة الأولى، أبو ظبي، 2009، ص: 131.

2. المفاهيم المهيكلة للنظرية الانقسامية

أ- مفهوم المجتمع الانقسامي:

لا يمكن اليوم الحديث عن هذا المفهوم من قبل الباحثين دون الرجوع إلى التعريف الذي وضعه إميل دوركايم، لكن يبقى الإسهام الميداني لـ «إيفانس بريتشارد» هو الأساس، والمرجع الذي تبنّاه معظم رواد النظرية الانقسامية ليس بدول المغارب فقط، بل حتى في التعريفات الموسوعية، حيث نجد في قاموس الأنثروبولوجيا التعريف التالي: «مجتمع انقسامي Segmentarity society؛ مجتمع ينقسم إلى وحدات تنتسب إلى سلف بعيد، ويرتبط بعضها ببعض بروابط القرابة. فالقبيلة الكبيرة تنقسم إلى عشائر Clan، التي تنقسم بدورها إلى أفخاذ Lineages. وتعيش كلّ وحدة في إقليم خاص بها، وتمارس فعاليتها الاقتصادية بحريّة، فهي مستقلة عن الوحدات الأخرى، ولا تخضع في حياتها السياسية إلا لسلطة رئيسها المباشر. ولذلك فليس في المجتمع الانقسامي سلطة موحدة، ويعتبر شعب النوير القاطن في جنوب السودان نموذجاً لهذه المجتمعات[39]».

والأمر نفسه بالنسبة إلى مراجع أخرى، مثل موسوعة علم الإنسان، حيث «يستخدم مصطلح انقسامي Segmentary في الأنثروبولوجيا ليدلّ على نظام القبيلة التي تحدّد الانحدار القرابي على أساس تتبع علاقاتهم بأسلافهم الأعلى البعيدين. وعلى ضوء هذا، يفهم البناء الاجتماعي على أنّه نظام متدرّج يشبه الشجرة ذات المستويات المختلفة من الوحدة والتعارض، فالوحدات المنقسمة عند المستوى الأدنى تتجمع معاً داخل وحدات أكبر عند مستوى أعلى. ومن هنا يربط إيفانس بريتشارد البناء الانقسامي بالمسافة القرابية (الجينيالوجيا)[40]».

نجد كذلك من خلال عودتنا لكتاب إيفانس بريتشارد حول قبائل النوير وصفاً دقيقاً للمجتمعات الانقسامية من خلال عدة نصوص أو أشكال رسومية تبيّن البناء الانقسامي عند قبيلة النوير، هذه الرسوم التي هي إمّا عبارة عن جداول وتشجيرات سنورد بعض الأمثلة عنها في سياق حديثنا عن مفهومي الانصهار والانشطار، اللذين شكّلا الإضافة النظرية المهمة لبريتشارد في إضافاته للبناء النظري للمقاربة الانقسامية، والتي حاول فيما بعد كلٌّ من إرنست غيلنر ودافيد هارت ولوسيت فالنسي وجون واتربوري توظيفها في سعيهم إلى تحديد

39- مصطفى سليم (شاكر) "**قاموس الأنثروبولوجيا**"، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1981، ص: 860.

40- سيمور- شميت (شارلوت)، "**موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية**"، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف محمد الجوهري، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1998، ص: 126.

طبيعة البنية الاجتماعية في المجتمعات المغاربية[41]، باعتبار أنّ النظام الانقسامي ينبغي أن تتوفر فيه، حسب الباحث علي صدقي أزايكو، الشروط الآتية:

- انعدام أيّ تجميع للسلطة بين يدي شخص واحد بصفة عامة.

- الغياب التام للمؤسسات السياسية المتخصصة.

- التوزيع المتوازن للسلطة بين مختلف المجموعات، وعلى جميع المستويات، وهذا يكفي لضمان استتباب النظام[42].

ب- الانشطار: Fission

يُعدّ مفهوم الانشطار من المفاهيم الأساسية في النموذج الانقسامي، وقد صاغ إيفانس بريتشار هذا المفهوم في سياق بحثه حول النظام السياسي لقبائل النوير السودانية، حيث أكد أنّ قبائل النوير تنقسم إلى قسمات، ويمكن تسمية القسمات الكبيرة، بفروع القبيلة Tribal sections، التي تتجزأ حتى المستوى الثالث (الأدنى) من القبيلة. وهذه الفروع تتكون من مجموعة من المداشر، التي تتكون بدورها من مجموعات تربط بينها علاقة القرابة[43]. مثل قبيلة اللو (Lou tribe)، التي تنقسم إلى فرعين: جين Gun ومور Mor، ثم إلى فروع ثانية وثالثة[44]، حيث تتّسم هذه الفروع، في نظر إيفانس بريتشارد، بنفس صفات القبيلة، وحسّها المشترك، واتجاه مواردها الاقتصادية، وانتمائها لمجال ترابي معين[45].

وكلّ قسمة حسب بريتشارد، مجزأة في الوقت نفسه، وهذا التجزّؤ يجعلها متعارضة فيما بينها، وأعضاء كلّ قسمة هم في استعداد للتصارع مع قسمة أخرى من الفرع نفسه، كما أنّهم في استعداد للتوحد من أجل محاربة عدو آخر[46]. إلا أنّ ما يهمنا في هذا السياق هو حالة الانشطار، والتي لا يمكن فهمها إلا إذا تجاوزنا مع إيفانس بريتشارد مستوى النظام السياسي عند قبائل النوير الذي تمثله القبيلة وفروعها إلى مستوى نظام

41- الهراس (المختار)، "**القبيلة والسلطة تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب**"، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، الطبعة الأولى، الرباط، 1988، ص: 17.

42- أزايكو (علي صدقي)، "**حول النظرية التجزئية مطبقة على المغرب**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، العدد الرابع عشر، 1988، ص: 10.

43- Evans-Pritchard E.E., **The Nuer; a description of the modes of livelihood and political institutions of a nilotic people**, Oxford, Clarendon Press, 1940, P: 139.

44- Ibid; P: 139-142.

45- Ibidem

46- Evans-Pritchard E.E., **The Nuer; a description of the modes of livelihood and political institutions of a nilotic people**, op.cit, P: 143.

خط النسب THE LINEAGE SYSTEM الذي يبرز مدى تجزؤ القبيلة، والذي يمكن توضيحه حسب الشكل التالي[47]:

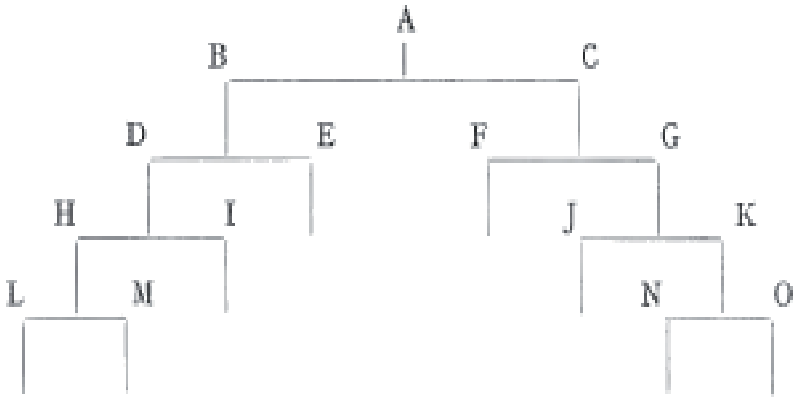

الرسم 1: تفرعات ومستويات القبيلة

ينطلق إيفانس بريتشارد من كون العشيرة عند قبائل النوير هي بمثابة مجموعة من الأفراد الذين ينتمون بنسبهم إلى جدٍّ مشترك، كما أنّ العشيرة نظام لخطوط من الأنساب، وهذه الخطوط هي جنيالوجيا تمثل قسمات العشيرة[48]. حيث نجد العشيرة A تنقسم إلى خطوط نسب عليا هي B وC، والتي تنقسم بدورها إلى خطوط نسب رئيسة D ، E ، F وG. أمّا القسمات الثانوية H، وI، وJ وK لخطي النسب G وD، فتتجزأ لخطوط نسب دنيا هي: L، وM، وN وO. الأمر الذي يبرّر في نظر الباحث كون هذه المجتمعات هي بالأساس مجتمعات انقسامية.

إلى جانب الأشكال المتعددة والكثيرة التي أوردها روّاد المقاربة الانقسامية، في سياق حديثهم عن قابلية المجتمعات ذات الصفات الانقسامية للانشطار، يمكن أن ندرج شكلاً آخر للباحثة جان فافري Jeanne Favret حول موقع الفرد في المجتمع الانقسامي.

47- Ibid,P: 193.

48- Ibid,P: 192.

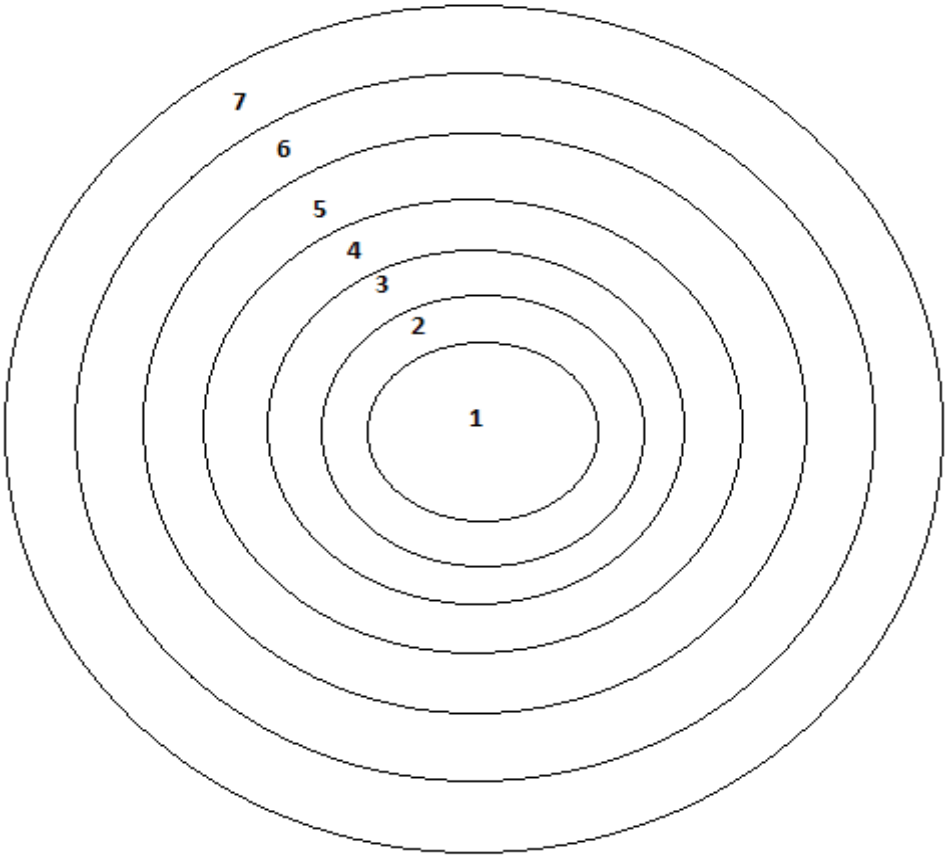

الرسم 2: تمثيل تخطيطي للمجتمع الانقسامي من وجهة نظر الفرد[49]

ترى جان فافري Jeanne Favret أنّ النظام الانقسامي يمكن أن يمثل في شكلين مختلفين: مثل شجرة عندما نأخذ في عين الاعتبار وجهة نظر الجماعة - كما هو الحال للرسم الذي استقيناه من إيفانس بريتشارد- أو على شكل دوائر متداخلة تبرز موقع الفرد وموقفه[50]. غير أنّ هذه الأشكال تبقى مع ذلك مضللة، في نظر الباحثة نفسها، باعتبار وجود مجتمع قائم على تعارض القسمات المكونة له، لا يعني أنّه يتجزأ إلى ما لا نهاية[51]. خاصة وأنّ صورة الشجرة التي تبرز صيرورة (Processus) الانشطار والانصهار تنذر بحدود هذه الصيرورة حيث يستحيل الانشطار.

أمام هذه الإشكالية تقترح الباحثة جان فافري الدوائر المتداخلة (انظر الرسم السابق)، والتي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة مستويات:

49- Jeanne Favret-Saada**, La SegmentaritéAu Maghreb**, In: **L'Homme**, 1966, tome 6, n °2. P 108.

50- Jeanne Favret-Saada**,** op.cit, P: 107.

51- Ibid. P: 107

- المستوى الأول: يتجلى هذا المستوى في الدائرة المركزية، وكلّ ما يتعلق بالحياة اليومية، وتسوية النزاعات الخاصة بها، صراع حول الحقل أو مياه الري بين الفرد وأبناء عمومته.

- المستوى الثاني: تشكله الدوائر 2، و3، و4 يتمّ عبره تحقيق توازن السلطة في القرية أو المدشر، بالارتكاز إلى جينيالوجيا حقيقية (بيولوجية).

- المستوى الثالث: يتمثل في الدوائر الخارجية التي تتكلف فيها القسمات بالدفاع عن الموارد الاقتصادية المتمثلة خاصة في الأراضي الجماعية، باعتماد إيديولوجية جينيالوجية أسطورية[52].

ج- الانصهار: Fusion

بالنسبة إلى المفهوم الثاني؛ الانصهار يتطلب الأمر وجود خطر خارجي، الأمر الذي يؤدي إلى استنفار مجموع القبيلة من الفرد، الأسرة، خط النسب، المدشر...، وصولاً إلى الاتحاد القبلي في بعض الأحيان، من أجل مواجهة هذا الآخر الذي يهدد وجود القبيلة أو مواردها الاقتصادية. ويشير الانقساميون إلى هذه الحالة عبر جدول الانصهار والمثل العربي.

- جدول الانصهار:

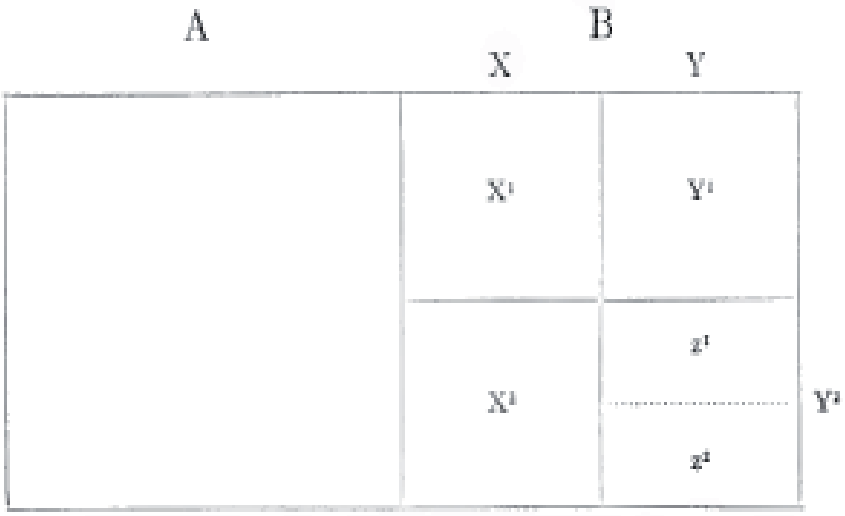

الرسم 3: تعارض قسمات القبيلة وانصهارها في مواجهة قبيلة أخرى[53]

52- Ibidem

53- Evans-Pritchard E.E., **The Nuer; a description of the modes of livelihood and political institutions of a nilotic people**, op.cit, P: 143.

يجسّد هذا الرسم حسب إيفانس بريتشارد حالة افتراضية، يبين من خلالها لعبة القسمات من خلال تعارضها، أو انصهارها في حالة وجود حرب بين قبيلة من النوير وقبيلة أخرى من الدنكا، حيث يتمّ تحالف فئات على مستوى العشائر لمواجهة خطر خارجي (حالة الانصهار)، عبر الافتراض التالي:

- عندما تتصارع Z1 وZ2 لا تشارك أيّة قسمة في هذا الصراع.

- عندما تتصارع Z1 وY1 تتحالف Z1 وZ2 والأمر نفسه ينطبق على Y1 وY2.

- أمّا عندما تتحارب Y1 وZ1، فإنّ Y1 وY2 تتحد، وكذلك Z1 وZ2.

- يؤدي الصراع بين X1 وA، إلى توحد Y1، X2، X1 وY2، في إطار B.

- عندما تتورط A في صراع مع قبيلة من الدنكا، يمكن أن تتوحد A وB لمواجهة الخطر الخارجي.

- المثل العربي:

غالباً ما يلجأ الباحث في النظرية الانقسامية، أو المهتم بها إلى استحضار المثل العربي الذي قدّم شهادة كبيرة للنموذج الانقسامي، خاصة عند تطبيقه على المجالات المغاربية من أجل تعريف المجتمعات الانقسامية. من خلال القول: «أنا ضدّ إخوتي، أنا وإخوتي ضد أبناء عمي، أنا وإخوتي وأبناء عمي ضدّ الآخر»[54]. يُفعل الانصهار في نظر إرنست غيلنر بمجرد حدوث التهديدات والأخطار التي قد تخلّ بتوازن مجموعات متشابهة ومتعارضة في الوقت نفسه[55]. ولجعل هذا المثل أكثر خدمة لصورة التنظيم الانقسامي، يقترح إرنست غيلنر تطويره ليصبح: «أنا ضدّ إخواني، أنا وإخواني ضدّ أبناء عمي، إخواني وأبناء عمي ضدّ أبناء عمومتنا، إخواني وأبناء عمي وأبناء عمومتنا ضدّ العشيرة المنافسة داخل القرية، كلّ أفراد القرية ضدّ القرية المجاورة، مجموعة من القرى أو بلدة Le canton ضدّ بلدة أخرى...إلخ»[56].

يتضح من خلال ما سبق أنّ الانقساميين قاموا بتطوير هذا المثل العربي من أجل خدمة النموذج الذي وضعوه، والذي يؤكد نزعة المجتمعات الانقسامية إلى الانصهار، أو تكتل مجموع القسمات كلما تهددها خطر خارجي[57]. كما صاحب هذا التطوير تعديلات منهجية أثارت إشكالية الزواج، هل هو داخلي أم

54- Jeanne Favret-Saada, **La SegmentaritéAu Maghreb**, op, cit. P: 108.

55- Alain Mahé**, Violence et médiation. Theorie de la segmentarité ou pratique juridique en kabylie**, in: **Geneses**, 32, 1998, p: 57.

56- Alain Mahé**, Violence et médiation. Théorie de la segmentarité ou pratique juridique en Kabylie**, op.cit, P: 57.

57- بنسالم (ليليا) "**التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقويم**»، م. س، ص: 18.

خارجي؟ الأمر الذي اختلف حوله أغلب الباحثين، من مؤيد لمقولة الزواج الداخلي، وآخر معارض لها. بالإضافة إلى من يقول بإمكانية وجود مجتمع انقسامي بصورة كاملة دون أن يفرز فكرة العشيرة التي تتبنّى الزواج الخارجي[58].

وبالعودة إلى المثل العربي نجد أنّه يخدم إلى جانب تأكيده على مفهومي الانشطار والانصهار، قضايا لا تقلّ أهمية كذلك، باعتبارها تشكّل مركز النظرية التي تتمحور في جانب كبير منها حول إشكالية السلطة في المجتمعات الانقسامية، أو كيف تحكم هذه المجتمعات؟

خاتمة

يبدو من خلال ما سبق أنّ المجتمع الانقسامي أو القبيلة، حسب تصور إيفانس بريتشارد وأغلب من جاء بعده، تشبه في تكوينها «شجرة» لها أصل واحد، لكنّ هناك عملية مستمرة لتوالد الفروع تؤدي إلى خلق إوالية ميكانيزم الانشطار، والتي ترافقها في الوقت نفسه إوالية معاكسة هي: إوالية الانصهار كلما كان هناك تهديد خارجي[59]. الأمر الذي أدّى بهذه النظرية إلى تبنّي مقولة عدم تمركز السلطة بالمجتمعات الانقسامية، إضافة إلى مقولة المساواة المطلقة التي تفضي إلى غياب التراتب الاجتماعي إلا في حالات استثنائية، الأمر الذي جعلهم يتصورون حياة خالية من الصراع والتراتبية[60]. إذا كان الأمر على هذه الشاكلة، فكيف تدبر القبيلة أمورها إذن؟

يتمّ في هذه الحالة اللجوء إلى شخص ينتمي إلى بعض السلالات المعينة، وهو الذي يقوم بدور الوساطة في حالة القتل، بالنسبة إلى قبائل النوير: «الرئيس ذو فروة الفهد»[61]، أمّا بالنسبة إلى القبيلة المغربية، وكما أشار إلى ذلك إرنست غيلنر، فيتمّ عبر قناة داخلية لإدارة شؤون القبيلة، وقناة خارجية يشكلها في نظره الصلحاء، عبر ممارسة التحكيم[62]، الذي تقوم به بعض السلالات المبجلة والتي تعود من خلال شجرة أنسابها إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول.

ختاماً وجب أن نشير إلى أنّ أيّ نظرية أنثروبولوجية كيف ما كانت، هي نتاج لصيرورة من الدراسات التي تضيف وتعدّل النموذج وفق شروط كلّ دراسة، وهو ما يتبيّن من خلال أبحاث إرنست غيلنر حول القبيلة في الأطلس الكبير بالمغرب، والتي حاول فيها المزج بين المنهج الوظيفي والبنيوي من أجل تجاوز

58- المرجع السابق، ص: 18.

59- ضريف (محمد) **"مؤسسة الزوايا بالمغرب"**، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى، 1992، ص: 75.

60- شرقي (محمد) **"التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية"**، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2009، ص: 40.

61- بنسالم (ليليا) **"التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقويم"**، م. س، ص: 15.

62- كلنر (إرنست) **"السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية"**، في الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، م. س، ص: 49

أزمة المنهج الانقسامي، الأمر الذي تمحور حوله نقد عبد الله حمودي. أو من خلال دراسات أخرى، طبقت النموذج الانقسامي، ولم تخلُ من نقد مؤسس، إمّا على خلفية تاريخية أو سوسيولوجية أو أنثروبولوجية، وهو ما تجسّده بشكل كبير التعديلات المنهجية والإبستيمولوجية التي قامت بها المدرسة التأويلية بدءاً بالتركيز على الأنساق الثقافية والرموز، وصولاً إلى تجديد الكتابة الأنثروبولوجية من خلال إبداع أشكال جديدة، لعل أبرزها السيرة الاجتماعية بوصفها وثيقة اجتماعية، وهو الورش الذي برز فيه ديل أيكلمان D.Eickelmann الذي عاب على الانقسامية تهميش الجانب التاريخي، حيث يقول في هذا الصدد: «...إن نحن قمنا بمقارنة مؤلف مارك بلوك ـ المجتمع الفيودالي- الذي يشرح فيه الكيفية التي ظهر بها مفهوم اللامساواة الذي نسميه بالفيودالية، في القرنين الحادي عشر والثاني عشر في أوروبا، وكذلك انعكاسات هذا المفهوم على العلاقات بين الدين والسلطة السياسية وبين السادة والأقنان، وانعكاساته في مفاهيم الأسرة والمكان والولاء- أقول إن نحن قارنا هذا المؤلف بدراسة مثل دراسة إرنست غيلنر عن - صلحاء الأطلس - فإنّه سيصعب علينا أن نجزم القول في أيّ العملين ننسبه إلى المؤرخ، وفي أي منهما ننسبه إلى الأنثروبولوجي. والواقع أنّ كثيراً من القرّاء سيخلص إلى أنّ مارك بلوك هو أكثر الاثنين جدارة بلقب الأنثروبولوجي، لأنّ التفسيرات التي يعطيها لمفاهيمه أكثر إقناعاً في ربطها بما هو متوافر لديه من أدلة»[63].

إنّ استحضار هذه القولة لـ«ديل أيكلمان» لا يجب القفز عنه دون الإشارة إلى دفاع الأنثروبولوجيين الجدد منذ دافيد هارت عن أهمية القراءة التاريخية في أي عمل أنثروبولوجي، من أجل تجاوز عقد الأنثروبولوجيا الكلاسيكية، وهو ما حاول بالفعل ديل أيكلمان تداركه في دراساته المتميزة حول المغرب من خلال الاشتغال على مفاهيم السلطة والمعرفة والإسلام، مؤكداً على قصور النظرية الانقسامية في فهم الإنسان المغربي، نظراً لإقصائها شبكة الرموز الثقافية، التي يدرك من خلالها هذا الأخير تجربته الاجتماعية.

63- أيكلمان (ديل)، «**الأنثروبولوجيا والتاريخ ووضعها في المجال الأكاديمي**»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، العدد الثامن عشر، 1993، ص: 118.

لائحة المراجع المعتمدة

- **باللغة العربية:**

- أزايكو (علي صدقي)، «حول النظرية التجزئية مطبقة على المغرب»، مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، العدد الرابع عشر، 1988.
- إيفانس (بريتشارد)، «الاناسة المجتمعية: ديانة البدائيين في نظريات الإناسيين»، ترجمة حسن قبيسي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، لبنان- بيروت، 1986.
- أيكلمان (ديل)، «الأنثروبولوجيا والتاريخ ووضعها في المجال الأكاديمي»، مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد الثامن عشر، 1993.
- بنسالم (ليليا)، «التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقويم»، في: الأنثروبولوجيا والتاريخ (حالة المغرب العربي)، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1988.
- الجوهري (محمد) ومجموعة من الباحثين، «الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج»، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2003.
- دوركايم (إميل)، «في تقسيم العمل الاجتماعي»، ترجمة: حافظ الجمالي، مجموعة الروائع الإنسانية، الأونيسكو (السلسلة العربية)، الطبعة الثانية، 1986.
- روبيرتس (تيمونز) - هايتي (أيمي)، «من الحداثة إلى العولمة: رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغير الاجتماعي»، الجزء الأول، ترجمة سمير الشكيلي، منشورات عالم المعرفة، الطبعة الأولى، الكويت، 2004.
- سيمور- شميت (شارلوت)، «موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية»، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف محمد الجوهري، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1998.
- شرقي (محمد)، «التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية»، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2009.
- ضريف (محمد)، «مؤسسة الزوايا بالمغرب»، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى، 1992.
- عبد الله (محمد عبد الرحمن)، «النظرية في علم الاجتماع: النظرية الكلاسيكية»، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2006.
- فهيم (حسين)، «قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان»، سلسلة عالم المعرفة، العدد 89، 1986.
- فولف (كريستوف)، «علم الاناسة: التاريخ والثقافة والفلسفة»، ترجمة أبو يعرب مرزوق، الدار المتوسطية للنشر، الطبعة الأولى، أبو ظبي، 2009.
- فيليب (لابورت) وآخرون، «إثنولوجيا أنتروبولوجيا»، ترجمة مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2004 بيروت - لبنان.
- القصير (أحمد)، «منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنيوية»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 2012.

- كلنر (إرنست)، «السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية»، في الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1988.
- لكلرك (جيرار)، «الأنثروبولوجيا والاستعمار»، ترجمة جورج كنتورة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، 1990.
- مصطفى (شاكر)، «قاموس الأنثروبولوجيا»، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1981.
- الهراس (المختار)، «القبيلة والسلطة تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب»، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، الطبعة الأولى، الرباط، 1988.
- الوكيلي (يونس)، «في منهج دراسة المعتقدات السحرية من منظور إميل دوركايم»، ضمن ملف بحثي حول الدين والمجتمع ونظرية المعرفة: قراءات معاصرة في أعمال إميل دوركهايم، تنسيق يونس الوكيلي، منشورات مؤمنون بلا حدود، 2015.
- يتيم عبد الرحمن (عبد الله)، «إميل دوركايم: ملمح من حياته وفكره الأنتروبولوجي»، مجلة إضافات، العدد 20، شتاء 2013.

- **باللغة الأجنبية:**

- Alain Mahé, Violence et médiation. Theorie de la segmentarité ou pratique juridique en kabylie, in: Geneses, 32, 1998.
- Evans-Pritchard E.E., The Nuer; a description of the modes of livelihood and political institutions of a nilotic people, Oxford, Clarendon Press, 1940.
- Hugh Roberts, Perspectives sur les systèmes politiques berbères: à propos de Gellner et de Masqueray, ou l'erreur de Durkheim, trad. ; Abderrezak Dourari, Insaniyat n°27, janvier – mars 2005.
- Jeanne Favret-Saada, La SegmentaritéAu Maghreb, In: L'Homme, 1966, tome 6, n °2.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017

All rights reserved © 2017